التأويل عند بول ريكور

Interpretation from Paul Ricoeur's perspective

د. لزهر مساعدية

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف. ميلة

الملخص:

هناك علاقة وطيدة بين الدين والفلسفة، والفلسفة والعلم، وهذه العلاقة تفهم في العادة بتحديد الاثر المادي المتروك أو ما تقدمه المخيلة من فهوم منطقية من منطلق التأويل، ويبين المقال نظرة بول ريكور لهذه العلاقة.

الكلمات المفتاحية:

التأويل ، الدين ، الفلسفة ،العلم .

Abstract :

- There is a strong relationship between religion and philosophy, philosophy and science, and this relationship is usually understood by specifying the left material impact or what the imagination provides from logical understandings from the point of interpretation.
- The article shows Paul Ricoeur's view of this relationship.

Keywords:

Interpretation, religion, philosophy, science

مقدمة

لما كانت الكتب السماوية منزلة من قبل الخالق على مخلوقاته باستخدام الرسل واسطة بينهم، كان حتميا أن تجد المخلوقات الممثلة في البشر صعوبات في فهم كلامه من منطلق اختلاف درجات الفهم عندهم، واختلاف صاحب الكلام الأصلي عنهم، وإن كان التبليغ يتم عن طريق من هم من شاكلتهم- بغض النظر عن تصديقهم أو تكذيبهم الذي يتأتى في العادة من تعظيم الكلام وإعلاء مرتبته، أو النظر إليه على أنه كان عاديا، بل من صنع البشر – ولا يتسنى إثبات هذا الرأي أو ذاك إلا من خلال تفسير الكلام والسفر فيه عن طريق مجاري التأويل المختلفة بحسب نظرة المؤول والمفسر، وهكذا ارتبط التأويل خاصة بتفسير ما ورد في الكتب السماوية عند الجميع تقريبا وبرع مؤولون ومفسرون عند أصحاب هذه الكتب في البداية. لتتطور فيما بعد إلى تفسير الذات والوجود والفكر والعلم فكان من بين الذين خاضوا في ميدان التأويل بول ريكور وعليه يمكننا طرح التساؤلات الأتية:

- ما التأويل ؟من هو بول ريكور؟ ما أهم أثاره ؟ وما كانت رؤيته للتأويل؟ وكيف نظر إلى علاقة الفلسفة بالدين أو اللاهوت؟ وكيف نظر إلى علاقة الفلسفة بالعلم؟

وحاولنا أن نجيب عن التساؤلات الآتية وفق عناصر أهمها:

1) التأويل، لغة واصطلاحا.
2) علاقة الفلسفة بالدين حسب بول ريكور.
3) علاقة الفلسفة بالعلم من منظور بول ريكور.
4) خاتمة موجزة.

إن الحديث عن التأويل قد ارتبط بتفسير النصوص الدينية أيما ارتباط لفهمها وبسطها للسواد الأعظم، ولما كان لابد من التمكن من ناصية اللغة والايمان بمجموع ما جاء في هذه الكتب الدينية، لذلك لم يتح للأغلبية تأويل ما جاء في هذه الكتب، واختص بذلك قلة من مفكري وعلماء كل معتقد، ومن هؤلاء نجد (توما الأكويني)، والذي كانت له رؤية في التأويل المرتبط بالكتاب المقدس.

وستسعى هذه الورقة البحثية في ماهية التأويل، وكيف نظر إليه بول ريكور.

1– التأويل، لغة واصطلاحا:

أ– في اللغة:

جاء في لسان العرب، في مادة (أول): «الأول الرجوع، آل الشيء يؤول أولا ومالا رجع. وآل إليه الشيء رجعه. وآلت عن الشيء ارتدت ... وقوله عز وجل: { وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } [يونس : 39] أي لم يكن معهم علم تأويله. وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل التغيير والمعنى واحد[1].

وجاء في القاموس المحيط: "آل إليه أولا ومالا، رجع، وعنه ارتد. ثم قال: وأول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره، والتأويل عبارة عن الرؤيا"[2].

وجاء في أساس البلاغة: "آل الرعية يؤولها إيالة حسنة، وهو حسن الإيالة وائتالها، وهو مؤتال لقومه قتال عليهم أي سائس محتكم ..."[3].

يبدو مما سيق في القواميس أن التأويل هو الرد والارجاع.

وجاء في معجم "لالاند (Lallande)" – باعتباره من أهم القواميس الفلسفية المعاصرة– كلمة "تأويل" تعني التفسير أي "تفسير نصوص فلسفية أو دينية وبنحو خاص الكتاب (شرح مقدّس) تقال هذه الكلمة خصوصًا على ما هو رمزي"[4].

يضيف المعجم كلمة الرمز التي تحيل الى معنى الشيء انطلاقا مما يرتبط به كشارة أو وسم أو أية قرينة.

ب – في الاصطلاح :

يقول بول ريكور (P.Ricoeur) – في حديثه عن غاية الهيرمينوطيقا ومفهومها– : "لقد نشأ مفهوم الهيرمينوطيقا في بداية الأمر عند تفسير النصوص الدينية ومن بعدها النصوص الدنيوية وهذا ما شكل الهرمينوطيقا كعلم قواعد التفسير"[5]، كما يرى بول ريكور أن مهمة الهرمينوطيقا الأساسية، هي: "السماح لنص معين بأن يدل قدر المستطاع"[6]، على اعتبار أن هذا النص، عبارة عن جملة من رموز، والرمز عنده، يحمل معنىً أوليا وآخرَ ثانويا. ومن خلال الأول يتم الكشف عن الثاني، ومنه المعنى كله، فالدلالة الرمزية إذا "مشكلة بحيث لا نرى منها إلا الدلالة الثانوية عن طريق الدلالة الأولية، حيث تكون هذه الدلالة الثانوية الوسيلة الوحيدة للدنو من فائض المعنى، والدلالة الأولية هي التي تعطي الدلالة الثانوية بصفتها معنى المعنى"[7].

وتعني كلمة "hermeneutics" التأويل "أي علم التفسير أو فنه وقد كان التأويل في الأصل مقتصراً على تفسير الكتب المقدسة، ثم اتسع مجاله خلال القرن التاسع عشر ليشمل قضية التفسير النصي برمتها. ويعد واشتهر المفكران الألمانيان (شلايرماخر) و(ديلثي) في هذا المجال؛ ثم أتى (هايدقر) وبعده الفيلسوف الألماني المعاصر (هانز جورج غادامير)[8].

يتضح مما سبق أن الدلالات والمعاني تتناسل فيكون منها القريب الى المعنى الحقيقي

ومنها ما يبعد عنه، وغاية التأويل هي المعنى القريب أو المراد الأول، وهذا ما يحاول علم الدلالة دراسته في معظم مباحثه.

2- التعريف بـ "بول ريكور":

"بول ريكور:فيلسوف فرنسي (1913-2005)، حصل على الدكتوراه سنة 1950 عن فلسفة الإرادة وترجمة كتاب "الأفكار" لهوسرل. درس في عدة جامعات فرنسية وعالمية، منها: ستراسبورغ، السربون، لوفين، هارفارد، شيكاغو...إلخ. ترجمت أعماله إلى أغلب اللغات العالمية، ومنح شهادات دكتوراه فخرية وجوائز أكاديمية عديدة"[9].

و" هو واحد من ممثلي التيار التأويلي، اشتغل في حقل الاهتمام التأويلي ومن ثم بالاهتمام بالبنيوية،(...) ويعتبر ريكور رائد سؤال السرد. أشهر كتبه (نظرية التأويل - التاريخ والحقيقة - الزمن والحكي- الخطاب وفائض المعنى - Interpretation / Theory - Discourse and the Surplus of Meaning من منشورات جامعة تكساس المسيحية عام 1976)"[10].

3-علاقة فلسفة ريكور بالدين أو اللاهوت:

عمل ريكور فيما يخص تعالق الفلسفة بالدين أو باللاهوت " على التمييز بين أسلوب ومضمون الخطاب الفلسفي من جهة، وأسلوب ومضمون اللاهوت من جهة أخرى؛ وذلك من أجل تجنب الخلط بين الأنواع والفروع المعرفية المختلفة. لكن، وعلى الرغم من ذلك، فقد اشتبه، بل واتهم، بعض النقاد ريكور بأنَّ كتاباته الفلسفية ليست إلا «لاهوتًا متخفّيا "crypto-théologie" »). وذهبت مغالاة بعض منتقدي ريكور في هذا الصدد إلى أن يعتبروا أنّه حتى مؤلفات ريكور الفلسفية الأشهر والأكثر شهرةً وأهميةً –كثالوث الزمن

والسرد مثلاً – ما هي إلا مؤلفات تنتمي إلى اللاهوت أكثر من انتمائها إلى الفلسفة فعلاً. وقد حاجج بعض هؤلاء المنتقدين بأنَّ الاهتمام الكبير الذي أبداه ريكور تجاه مسألة السرد لم يكن بريئاً على الإطلاق؛ لأنَّ «السرد –كموضوع للبحث – يحيل بشكلٍ ضمني إلى الأساس القديم للكتاب المقدس، ويمكن اعتبار ذلك بمثابة الوجه المخفي من عمل ريكور». يبدو أنَّ منتقدي ريكور، بخصوص الجانب اللاهوتي من فكره، لا يميزون – لدى ريكور – بين البواعث العميقة لالتزامه الفلسفي ولوجوده الشخصي والطائفي، من جهة، وبين البنية أو الأسلوب الفلسفي الذي اتبعه ريكور في الحجاج والتدليل على أفكاره في أعماله الفلسفية، من جهة أخرى. فريكور نفسه لم يدَّع أنَّ قناعاته واعتقاداته الدينية لم تؤثِّر على الاهتمام الذي أبداه – في أعماله الفلسفية – تجاه هذه المسألة أو تلك. لكنَّ ذلك لم يمنعه من التأكيد على الاستقلال النسبي لكلّ ميدانٍ معرفي عن الآخر، مع التأكيد أيضاً على ترابطهما الوثيق بشكل يسمح بتأسيس علاقة تصالحية – لا عدائية – بين هذين الميدانين. وإنَّ هذه العلاقة المزدوجة – استقلال نسبي وترابط وثيق بين الفلسفة واللاهوت أو الإيمان الديني – أخذت طابعاً إشكالياً واضحاً حين مسَّ البحث مسألة وجود الله. ففي حين أنَّ هذا الوجود هو واضح وأكيد في الميدان الديني، من حيث أنَّ فكرة الله هي أساس كل دين، نجد أنَّ هذا الوجود ظل – في الفكر الفلسفي عند ريكور – معلَّقاً. وعلى هذا الأساس، يمكننا فهم الأسباب التي جعلت دومينيك جانيكو " Dominique Janicaud" يضع ريكور جانباً حين كان يتناول بالانتقاد ما أسماه بـ"التحول اللاهوتي للفينومينولوجيا الفرنسية". فوفقاً له، لم يسهم ريكور –كما فعل ليفيناس وجان لوك ماريون مثلاً– في الخلط بين أنواع المعرفة (المقصود هنا بين اللاهوت والفلسفة) باسم نقد الأنطولوجيا واللوغوس أو العقل" [11].

ولم يقبل ريكور وصف فلسفته بأنَّها :"محض "لاهوت متخفٍ"، رافقه رفضٌ مماثلٌ

لوصف كتاباته اللاهوتية بأنها مجرد "فلسفة متخفية crypto-philosophie". وقد ظهر هذا الرفض الأخير من خلال تأكيد ريكور على أنَّه لا يمكننا أن نجد في الإيمان الديني أو الكتابي الحلول للمسائل أو المعضلات الفلسفية؛ لأنَّ العلاقة بين الفلسفة والإيمان الديني أو الكتابي لا يمكن أن تأخذ صيغة "سؤال – جواب". ففكرة الجواب لا توجد – في المجال الديني – كمقابل لفكرة السؤال، وإنما كمقابل لفكرة النداء "l'appel"). وفي حين أنَّ روجر ميهل (أحد مفكري اللاهوت المسيحي) شدَّد – في كتابه "شرط الفيلسوف المسيحي" – على أنَّ اللاهوت يحتاج – بالضرورة – إلى الفلسفة على مستوى وضع المفاهيم والنقد، أكَّد ريكور أنَّه لا يمكننا أنْ نعتبر الاعتقاد والنقد كضدين، بحيث يحيل الأول إلى الدين وحده – وليس إلى الفلسفة – في حين أنَّ الثاني – أي النقد – مرتبط بالفلسفة وحدها، وليس بالدين. وهكذا فعلى الرغم من تأكيد ريكور الاستقلال النسبي للفلسفة عن الدين أو اللاهوت وبالعكس، إلا أنّه لم ينفِ التأثير المتبادل والتداخل بين هذين المجالين. وقد ذهب إلى حد التأكيد على أنَّه » يوجد ظواهر من التنافذ ''osmose'' بين المجال الفلسفي والمجال الديني. «ولقد سعى ريكور مع ذلك إلى أن يبيِّن شرعية وجهات نظر كل من الفلسفة والدين أو اللاهوت من داخل حدود الميدان المعرفي الذي يطابق كلاً منهما؛ وذلك من أجل أن يتحاشى التركيب الزائف " la fausse synthèse" بينهما"[12].

4– علاقة فلسفة ريكور بالعلم:

لم يقتصر اهتمام ريكور على ميدان الفلسفة" بل تعدَّاه إلى الاهتمام بالميادين الأخرى، ويأتي في طليعة هذه الميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية. وقد أكدَّ ريكور على أنّ حياة الفلسفة وقوتها تكمن في صلاتها الوثيقة مع ما يغايرها عموماً، ومع العلوم الإنسانية

والاجتماعية خصوصاً. وبموازاة هذا التأكيد من ريكور – بوصفه فيلسوفاً – على أهمية العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والعلم، نجد أنَّ مسيرة العلم المعاصر نفسه تبينَّ أنّها تتطلب هذه العلاقة الوثيقة؛ فالكثير من العلماء لم يعودوا يعتبرون اليوم الفلسفة خصماً للعلم، بل أصبحوا يرونها كمكمِّلٍ له. ومن هنا يمكن القول بأنَّ العلاقة بين الفلسفة والعلم قد تجاوزت الطلاق شبه الكامل – الذي كان موجوداً في منتصف القرن العشرين – بين الفلسفة والعلوم عموماً، والعلوم الإنسانية والاجتماعية خصوصاً. وقد نتج ذلك الطلاق من سوء أو عدم الفهم للدور الذي تقوم به الفلسفة في الميدان العلمي، ومن الارتياب المتبادل الذي كان موجوداً بين الفلاسفة والعلماء. لقد اعتقد العلماء لفترة طويلة أنَّ العلوم لم يكن يمكنها أن تتقدم بقوة إلَّا من خلال تحرير نفسها من "وصاية" الفلسفة. لكنَّ الفلاسفة أنفسهم باتوا عموماً يعتبرون – في العقود الأخيرة – أنَّ دور الفيلسوف لا يتمثل في أن يقول للعلماء ما يجب عليهم فعله. في المقابل، يعترف العلماء بأنَّ الفلاسفة يمكنهم عموماً أن يؤولوا ما يفعله العلماء بطريقة أفضل من طريقة العلماء أنفسهم ؛ لأنَّ الدراسة الفلسفية للمعرفة العلمية تبيِّن، من جهة أولى، صلات المعرفة العلمية بسياقها الاجتماعي-التاريخي، وتكشف، من جهة ثانية، الأبعاد الأنطولوجية والأخلاقية لهذه المعرفة. بالإضافة إلى ذلك، تسهم هذه الدراسة الفلسفية في إيجاد تحليل بنَّاء للأسُّس الإبستيمولوجية والمنهجية للعلم"[13].

فقد تشكلت فلسفة بول ريكور من خلال" إقامة حوار دائم وعلاقات وثيقة بين الفلسفة والعلم عموماً، والعلوم الإنسانية والاجتماعية خصوصاً، مع التأكيد على ضرورة المحافظة على الحدود والتخوم الفاصلة بين هذه الفروع المعرفية، والمميِّزة لها. وإنَّ إشكالية المنهج هي المركز الذي تمحورت حوله دراسة العلاقة بين الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية. وقد اهتمَّ ريكور -بشكلٍ خاص- بالمكان الذي يمكن أن يشغله التفسير

-بوصفه منهجاً علمياً- في الهيرمينوطيقا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وبالدور الذي يمكن أن يقوم به الفهم والتأويل في هذه الهيرمينوطيقا وهذه العلوم. ومن بين الأسئلة الرئيسة التي سعى ريكور إلى الإجابة عنها: كيف يمكننا أن نصالح بين المقاربة التفسيرية والمقاربة التفهمية "compréhensive" في ميداني الهيرمينوطيقا والعلوم الإنسانية والاجتماعية؟ ما هو المكان الذي يمكن أن تشغله محاولات الموضَعة العلمية، أو إعطاء الصفة الموضوعية في العلم، ومنهج التفسير -بأشكاله المتنوعة- في ميدان الهيرمينوطيقا: ميدان الفهم والتأويل؟ هل يوجد مكان للفهم والتأويل في منهجية العلوم الإنسانية؟ وتم طرح هذه الأسئلة في الهيرمينوطيقا الريكورية، مع السعي إلى القيام بتحليل معمَّق لها؛ لأنَّ مسألة المنهج تحتل مكاناً مركزياً فيها. ويمكن تفسير هذا الانشغال بمسألة المنهج في الهيرمينوطيقا الريكورية من خلال الإشارة إلى أنَّ الحوار، الذي حرص ريكور على إقامته بين الفلسفة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قد ركَّز، بدرجة كبيرة، على إشكالية المنهج. وفي هذا الموقف المنتبه لأهمية الإشكالية المنهجية، ولضرورة وفائدة إقامة حوار دائم ومنفتح بين الفلسفة والميادين المعرفية المغايرة لها — تظهر أصالة الهيرمينوطيقا الريكورية وتميزها عن بعض أهم الصيغ المعاصرة للهيرمينوطيقا"[14].

مثلما انشغلت فلسفات كثيرة بإشكالية المنهج كانت كذلك الفلسفة الريكورية مع العلم أن" انشغال هيرمينوطيقا ريكور بالمسائل المنهجية والإبستيمولوجية لا يجب أن يجعلنا نقلِّل من قيمة أو أهمية البعد الأنطولوجي في هذه الهيرمينوطيقا. فقد عمل ريكور دائماً على أن يهتم بالمسائل الأنطولوجية إضافة إلى اهتمامه بالمسائل المنهجية والإبستيمولوجية. فهو لم يعارض الهيرمينوطيقا الهايدغرية بوصفها هيرمينوطيقا أنطولوجية. فما رفضه في أنطولوجية هايدغر للفهم هو طابعها المباشر. فقد اعتبر ريكور أنَّ هذه الهيرمينوطيقا الأنطولوجية يجب أن تكون متوسَّطة ومسبوقة بتحليل إبستيمولوجي ومنهجي

لفعل الفهم؛ بمعنى أنَّه يجب دراسة الفهم – بوصفه أسلوباً أو نمطاً من أنماط المعرفة – قبل دراسته، بوصفه نمطاً أو طريقة في الكينونة. ويمكن القول بأنَّ هذا النوع من التوسط " la médiation" هو سمة مميزة ومحايثة للهيرمينوطيقا الريكورية التي يمكن تعريفها بأنها هيرمينوطيقا للذات بامتياز؛ لأنَّ موضوع هذه الهيرمينوطيقا وغايتها الأخيرة يتمثلان في فهم الذات "la compréhension de soi". وفي طعنه بالحدس المباشر للذات أو لشفافيتها لنفسها – وهو ما تقول به فلسفات ديكارت وفيشته وهوسِّرل مثلاً – يشدِّد ريكور على أنَّ فهم الذات يجب أن يكون متوسَّطاً دائماً بتأويلٍ للعلامات " les signes" والرموز "les symboles" والنصوص. ولقد كان فهم وتأويل العلامات والرموز والنصوص من أهم الموضوعات التي انشغلت بها الهيرمينوطيقا الريكورية. وبإظهار ريكور لوجود تماثل بين النص والفعل، أصبح هذا الأخير –ابتداءاً من علم 1970– أحد أهم مواضيع هيرمينوطيقا ريكور. وانطلاقاً من كلِّ ذلك يمكننا أن نميز نسبيًا بين ثلاث مراحل أو ثلاثة أوجه للهيرمينوطيقا الريكورية: هيرمينوطيقا الرموز والعلامات، هيرمينوطيقا النص، هيرمينوطيقا الفعل. لكن يجب التشديد هنا على نسبية هذا التمييز؛ لأنَّه يوجد تضمن وتداخل قوي بين هذه الأوجه أو المراحل من هيرمينوطيقا ريكور. وتشديدنا على هذا التضمن والتداخل يهدف إلى التأكيد على وحدة واستمرارية المشروع السائد في كل أعمال بول ريكور"[15].

5– خاتمة:

مما تم عرضه من تتبع الباحثين للفلسفة الريكورية نخلص الى أن ريكور – وإن كان له نظراته الخاصة في القضايا الفلسفية المختلفة إلا أنه أولى موضوع التأويل الاهتمام اللازم خاصة فيما يخص علاقة الفلسفة بالدين واللاهوت وعلاقتها بالعلم لمحاولة التوفيق في

أحايين كثيرة ،خاصة وأن الاختلاف بينهما شاسع البون.

الهوامش:

(1) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري. لسان العرب . دار صادر – بيروت .ط3 . 1414 هـ .ج13.(مادة أول) ص33.

(2) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين. القاموس المحيط . تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة. 2005.ج3. (مادة أول). ص331.

(3) محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم. أساس البلاغة. تحقيق: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية . 1998.ج1.ص15.

(4) أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خلي، تعهده وأشرف عليه حصرا أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت–باريس، ط2، 2001، م2، ص555.

(5) بول ريكور: إشكالية ثنائية المعنى، ترجمة فريال جبوري غزول، ضمن كتاب الهرمينوطيقا والتأويل، تأليف مشترك بين الباحثين، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط2، 1993، ص139.

(6) بول ريكور: البلاغة والشعر الهرمينوطيقا، ترجمة مصطفى النحال، ضمن مجلة فكر ونقد، السنة الثانية، العدد16، فبراير1999، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،، ص114.

(7) بول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص97.

(8) تيري إيغلتون، مقدمة لدراسة نظرية الأدب .أكسفورد، 1983، ص 66.

(9) بول ريكور ينظر الموقع الالكتروني:
https://www.mominoun.com/auteur/504

(10) بول ريكور ينظر الموقع الالكتروني:
https://www.abjjad.com/author

(11) فلسفة بول ريكور وعلاقتها بالدين والعلم ينظر الموقع الالكتروني:
https://www.alawan.org

(12) فلسفة بول ريكور وعلاقتها بالدين والعلم ينظر الموقع الالكتروني:
https://www.alawan.org

(13) فلسفة بول ريكور وعلاقتها بالدين والعلم ينظر الموقع الالكتروني:
https://www.alawan.org

(14) حسام الدين درويش. ما مدى علاقة فلسفة بول ريكور بالعلم والدين ؟ ينظر الموقع الالكتروني:

https://modernitysite.wordpress.com

(15) حسام الدين درويش. ما مدى علاقة فلسفة بول ريكور بالعلم والدين ؟ ينظر الموقع الالكتروني نفسه